الدور الدمشقية نعيم مقيم إلى زوال

من الحجر الأسود إلى الحجر الوردي صعوداً إلى البحرة

| منير كيال

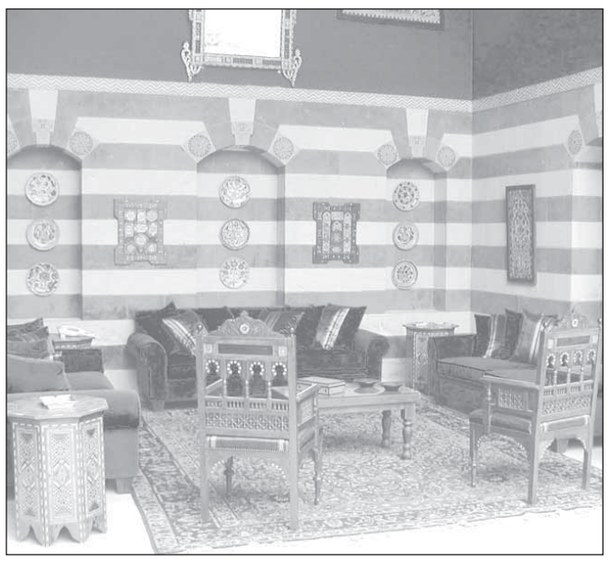

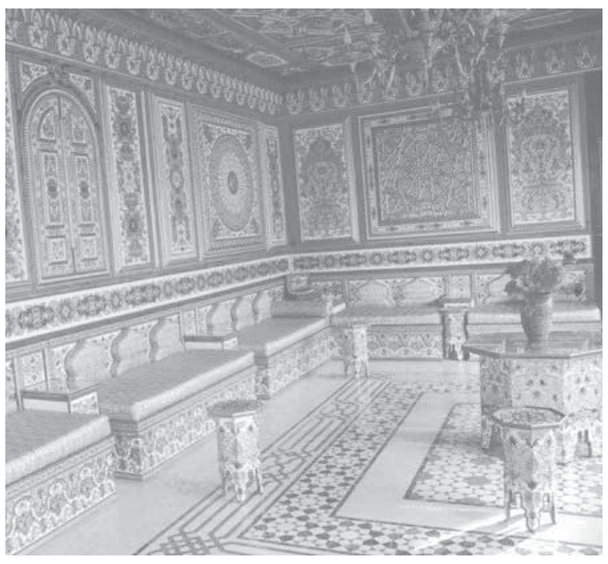

يلحظ المرء المتجول في أحياء وحارات مدينة دمشق القديمة أبواباً مخبوءة بالجدران والأزقة، ولا يكاد المرء الغريب عن دمشق يعرف أن وراء هذه الأبواب، دوراً تميّزت بها دمشق، ولا يكاد يعرفها إلا اليسير من الدمشقيين وبعض الدارسين.

ومن اللافت للنظر أن من هذه الدور ما يتراكب بعضها ويتداخل، ولا يكاد يدل عليها إلا ما كان لها من نوافذ علوية مسيّجة بأخصاص خشبية تسمح برؤية من بباب الدار (الزقاق) إذا طرق هذا الباب طارق بالسقّاطة (المطرقة) التي بكل باب.

ولعل هذا الطارق لم يكن بخلده أن يجد وراء هذا الباب داراً ودوّار السن كما يقولون، مما يأخذ بالألباب ويخطف الأبصار، من ظلّ ظليل وماء سلسبيل وورد وأزاهير إلى آخر ما هنالك من زخارف ونقوش على الجدران، إضافة إلى الحلقات الخشبية المزركشة بالدهان العجمي أو الدهان الحريري ما يغلّف جدران القاعات على تعدّد طرزها فضلاً عن البحرات والفساقي الموزعة هنا وهناك.

أقسام الدار الدمشقية

أما أقسام هذه الدار، فقد توزعت بين باب الدار (الزقاق) والدهليز وأرض الديار والليوان فضلاً عن الغرفة التي إلى يمين ذلك الليوان (الإيوان) والغرفة الأخرى التي إلى يسار ذلك الليوان، وكان من غرف الدار الدمشقية ما هو لفصل الصيف وما كان لفصل الشتاء على تعدد أسماء كل من القسمين كالمربع والمخدع والنصفية والفرنكة والطيّارة التي على السطح والتي يمكن أن تكون للسكنى أو لزوم الدار من نشر للغسيل أو نحوه.

وفي جميع الأحوال، لابد لنا من الإشارة إلى أن بكل من هذه الدور جناحاً يطلق عليه اسم البراني، وهو مخصص لرب البيت وضيوفه من الرجال، وجناح آخر للأسرة وخاصة النساء ويعرف باسم الجواني، أو مقابل ما يعرف بالحرملك والسلاملك بالقصور الدمشقية وعلى بساطة مداخل الدار«الدهليز المؤدي إلى أرض الديار» فإن من الدهاليز ما تكون طويلة ومتعرجة بحيث لا تسمح للواقف بباب الدار عند الزقاق أن يرى من بداخل أرض الديار.

ذلك أن أرض الديار هذه تنفرج عن ساحة واسعة لمنظر بهيٍّ يضم أغراس الورد والزهر والياسمين وأغراس الشمشير فضلاً عن أشجار النارنج والكباد والليمون وغرائس العنب.

وكثيراً ما يتوسط أرض الديار هذه، بحرة تتدفق إليها المياه وتنطلق منها عبر نوافير جميلة.. وأرض الديار هذه في الدار الدمشقية ركن أساسي بحياة الأسرة، فهي جنّتهم ومتنزههم وملاذهم، لذلك فهي موضع عنايتهم ومبلغ تعهدهم بالتنظيف والغراس والسقاية.

أما الليوان فإنه غالباً ما ينفتح بالطرف الجنوبي من أرض الديار ولهذا الليوان دور في حياة الأسرة، لكونه ملتقى أهل الدار في ليالي فصل الصيف القائظة، وقد يقابل الليوان في بعض الدور ما يعرف بالرواق، فضلاً عن ذلك فقد نجد في إيوان الدور المترفة زخارف تزين الجدران والسقف.

أرض الديار

أما أرض الديار فغالباً ما تكون مبلطة بدروب من الحجر الأسود مع الحجر الوردي، ويكون هذا البلاط من الرخام حول البحرات، وغالباً ما نجد بأرض الديار أحواض الزهر والورد والأشجار المثمرة من حمضيات وعنب على نحو ما أشرنا.

وللغرف في هذه الدور أهمية ولكل منها استخداماتها من حيث السكنى فنجد في الغرف ما كان للإقامة صيفاً وما كان للشتاء، فالغرف التي لأيام الصيف تتجّه واجهاتها ونوافذها نحو جهة الشمال، في حين تكون واجهات الغرف الشتوية نحو الجنوب بمقابل ضوء ودفء أشعة الشمس، ومن أهم غرف الطابق الأرضي، القاعتان اللتان على يمين الإيوان ويساره، كما قد يكون هناك غرفة في بعض الدور (أو قاعة) تنفتح على أرض الديار تكون بمنزلة قاعة الشرف للأسرة، لكونهم يستقبلون بها الضيوف ويحيون المناسبات المميزة للأسرة، ويكون سقف هذه القاعة من وحدات زخرفية يطلق على الواحد منها اسم الطراز (الطرز)، وكلّما تعددت طرازات هذه الغرفة كانت أكثر فخامة وغنى بالإبداع الزخرفي. ونجد في هذه الدور، وفي كثير من الأحيان أن تكون جدران القاعة الكبرى مكسوّة بما يعرف بالحلقة الخشبية إلى علو يُقارب منتصف الجدران، وتتشكل هذه الحلقة من أطناف مقرنصة من الخشب المزخرف بالأعلى، وهذه الأطناف تمسك بإطارات الأبواب والكتابي المخصصة للصمديات وجميع هذه الأطناف والإطارات الخشبية والأبواب مزخرف بما يتناسب ويتناغم مع زخارف السقف العجمية النافرة، الهادئة الألوان وقد يكون لهذه الغرفة الكبرى باب يخال للمرء أنه الكتبية، وهذه الكتبية تنفتح إلى درج يوصل إلى غرفة علوية (نصفيّة) صغيرة قد تخصص للضيفان، حيث إنها بمعزل عن باقي أقسام وغرف الدار، كما يمكن أن تخصص هذه الغرفة لرب الأسرة.

الغرف وارتفاعها

ومن الملاحظ أن سقوف غرف الدور الدمشقية قد ترتفع إلى نحو سبعة أمتار، وهذه السقوف منها ما كان مزيناً بزخارف وفقاً لأسلوب الدهان العجمي النافر، أو بأسلوب الدهان الحريري الأملس. فعندما يرتكز السقف على أعمدة ظاهرة، فإن أسلوب الزخرفة يكون بالأسلوب الحريري، وعندما يكون السقف مغلفاً بالخشب من نوع الدّف تكون الزخارف بالأسلوب العجمي النافر وفي جميع الأحوال لابد من القول: إن ما أشرنا إليه بهذا البحث يرتبط إلى حد كبير وأحوال الأسرة المادية والاجتماعية، وفي ضوء ذلك يكون الرفاه أو التقنين والحد من البذخ على مبدأ على قدّ فراشك مدّ رجليك.

وإذا كانت القصور مخططها العام ينتظم الواحد منها بقسمين، براني للرجال وضيوفهم وجواني لبقية الأسرة فقد تأثرت بعض البيوت بذلك، فأطلقوا على القسم البراني من المنزل اسم (السلاملك) وأطلقوا على القسم الجواني اسم الحرملك.

وبالتالي فإن المرء يلحظ أن القسم البراني على جانب كبير من البذخ والرفاه بما يتناسب مع مكانة الأسرة المادية ومركزها الاجتماعي، وقد ينفرد هذا البراني بفسحة (أرض ديار صغيرة) أنيقة مفروشة بالرخام.

أثاث الدور

أما الأثاث فيكون من عدد من الدواوين أو الطواطي المحيطة بالجدران وهي مغطاة بحشيات (مخدات) أو لحاشات محشوة بالصوف أو القطن ومنجدة بقماش الدامسكو، وبالطبع لا تخلو الجدران من كتبيّات للتحف والصمديات.

أما الجانب الجوّاني من الدار الدمشقية، فهو أوسع من الجانب البراني، وأكثر ترفاً، وخاصة ما كان بالقاعة الكبرى التي أشرنا إليها، إضافة إلى القاعة التي على يسار الإيوان والقاعة المقابلة التي عن يمين ذلك الإيوان، وقد يكون لهذا الجناح الجواني من الدار مدخل منعزل عن مدخل الرجال بالبراني، ويعدّ هذا الجناح متنزّه النساء ومتنفسهن بما يضم من غرف معرضة لأشعة الشمس وأخرى يمثل بها الظل والطراوة بفصل الصيف على وجه الخصوص وفي جميع الأحوال لابد أن يتوافر للدار الدمشقية بئر ماء لتوفير الماء اللازم للبيت على مدى أيام الحول.

وقد يكون توفير ذلك الماء عبر نظام الطوالع الذي يحفظ لكل دار حقها من مياه نهر بردى وبانياس وفق عِدّان محدد من المياه.

وأخيراً لعل من المؤسف القول بأن مآل هذه الدور إلى الزوال، بعد ذلك التطور الذي أصاب حياة الناس، أكان ذلك في انفراط عقد الأسرة التي كانت كالقبيلة، أم ما أصبحت عليه الدور الحديثة من متطلبات الخدمة والعناية، وبالتالي تخلي الدار الدمشقية التقليدية عن وظيفتها، بعد أن هجرها أهلها أو قاطنوها، وأصبح الكثير منها يشقّ طريقه إلى التداعي والاندثار.

ولعل من المفيد أن يلحظ المسؤولون أهمية هذا التراث العمراني، وبالتالي الاهتمام بهذه الدور وتوظيفها في مجالات يفيد منها المجتمع كمراكز ثقافية ونواد ومكتبات أو للمنظمات الشعبية والنقابات المهنية أو مستوصفات، على ألا يؤثر ذلك في نسيج الدار العمراني أو مخططها ونفائسها الزخرفية ولنا في ذلك بناء دار عنبر بحي القيمرية مثال يحتذى.

برجك اليوم ١/٤

نجلاء قباني

الحمل: أنت تقوم بدور فعال في حياتك العملية رغم أن القلق يرافقك ولكنك تدخل في جديد يقلقك قليلا لأنه جديد ولم يأخذ شكله بعد فاستفد من حظوظك السعيدة.

الثور: أنا أدعوك للتراجع عن مشاكل قد تدخل فيها فقط لأنك عصبي أو متوتر وإذا كان الدافع شخصياً فلا تعلق أخطاءك أو عصبيتك على ردود فعل المحيط العملي.

الجوزاء: نصيحة تسمعها من صديق تنير أمامك الدرب وتدعمك في خطواتك وتمنحك الالتزام، قد تمتلك أفكاراً براقة وقدرة على تحويل هذه الأفكار إلى حقائق أدعوك للاتزان.

السرطان: احذر التسرع فتسرعك قد يسبب صعوبة في التواصل مع الآخرين، تجنب العدائية ولا تقم اليوم بفرض رأيك على أحد، ولا تستفز الآخرين لأن ذلك ليس في مصلحتك.

الأسد: تستمتع بجديد يعجبك أو قطاف لجهود وتتحسن علاقاتك بالمحيط، قد تفكر بسفر لأن فترة الخلاص الحقيقية تعم حياتك فحاول أن تستفيد من حظوظك الحسنة.

العذراء: إشراقك الشخصي والمهني واضح للعيان بل تسمع الكثير من المدح وحولك المساعدات والتأييد وأياد تمتد لمعونتك تسير بعملك نحو الطريق الأمثل والأفضل.

الميزان: محطات قد تعاني بعض التعب فيها والسبب بعض التأجيل في مواعيد ولقاءات مهمة وقد تشعر أن حولك تحركاً مقلقاً يحتاج لجهدك لتترجم كل ما تسمع.

العقرب: تعاون مع من حولك أصدقاء أو زملاء وانتبه للعمل ونظم وقتك كي يحترمك الآخرون فأوضاعك المالية والعملية تسير إلى التحسن واليوم جيد ولكن فيه عمل كثير.

القوس: أنت تحرر نفسك تباعاً من كا المعوقات وتواصل التعديلات في وضعك المهني والشخصي وتملك الطاقة والفعالية وحوارات مع المحيط مجدية والأهم أن أصدقاءك يمنحونك الدعم.

الجدي: انتبه إلى قراراتك واستشر أو امنح نفسك الوقت لدراسة الجديد قبل أن تعطي رأيك فيه واسمع آراء الآخرين ولا تستهن بالملاحظات فقد تحمل لك شيئاً من الصحة.

الدلو: تنقل كل الملاحظات والانتقادات وتعمل على تحسن أمورك مستفيداً من كل من حولك والأهم أنك تقرأ المتغيرات الحاصلة حولك في العمل عموماً الحظوظ مساعدة.

الحوت: أتمنى أن تعيد بناء الثقة بينك وبين محيطك سواء أكان عملياً أم شخصياً وانتبه من احتيال أو سرقة قد تتعرض لها فأمورك المالية ليست على ما يرام.

كلمات متقاطعة

أفقي:

١- مخرج سوري- خاصتي.
٢- عشق- حرف ناصب- حرف عطف (م)- جبل (م).
٣- ممثل ومخرج سوري- والد.
٤- يسكنون معي (م)- حرف جر- جاهل (م).
٥- برنامج أطفال قديم.
٦- ممثل كوميدي مصري- إشراق (م).
٧- جميع- حرف استفهام- من الأنبياء.
٨- رقدَ- للاستدراك- يلتقط.
٩- نجيعه- حرّكه.
١٠- شرط- من الأقمشة.
١١- نستدل إلى الطريق الصحيح- أفقي (م).
١٢- علم مذكر- أداة الحرب.

عمودي:

١- موسيقار سوري.
٢- احترام- عتاب.
٣- سانده- ذل.
٤- يحتجزه- حِرف.
٥- أصد- أفوز عليه.
٦- حروف متشابهة- نافية- إطراء (م).
٧- أساعده- يشاهد (م).
٨- متشابهان- من الخضار (م).
٩- حرف أبجدي- عملة عربية (م).
١٠- علمٌ- لباس (م)- متشابهان.
١١- متشابهان- من أطوار القمر (م)- حاجز (م).
١٢- يرتد - اسم موصول (م).

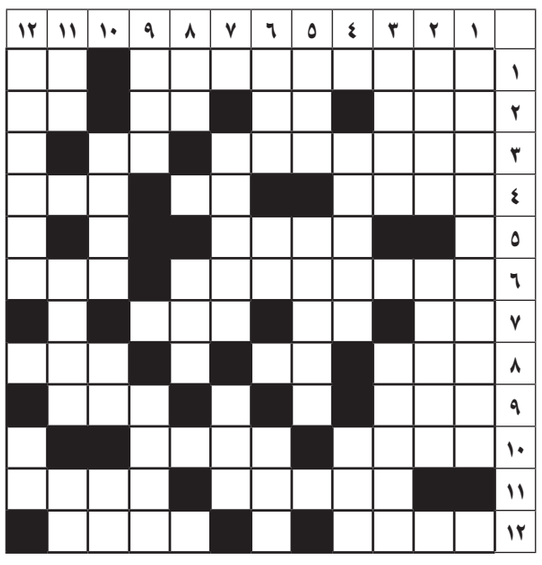

الحل السابق:

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢
١	خ	ا	ل	د	ت	ا	ج	ا	■	ط	ب	ل
٢	ا	ل	ت	هـ	م	هـ	■	م	ا	ل	■	ب
٣	ل	م	■	د	ا	ر	ي	■	ا	ي	م	ن
٤	د	ك	■	هـ	ر	ب	ا	■	ا	ط	■	ا
٥	ا	س	م	■	ي	■	س	م	■	ل	هـ	ن
٦	ب	ي	ن	■	ن	ا	م	■	هـ	هـ	هـ	■
٧	و	ك	■	د	■	ع	ي	ا	ل	■	هـ	م
٨	ا	ا	ر	ا	■	ا	ن	ت	■	س	هـ	م
٩	ل	■	ت	و	م	ن	■	م	ي	■	هـ	■
١٠	ن	ع	م	■	ا	ي	ا	ر	■	■	■	م
١١	ج	ر	■	ا	ر	■	ع	د	■	ا	ل	هـ
١٢	ا	ق	ب	ل	■	ا	ي	■	س	و	ا	ر

كلمة السر

خ	ا	ء	ن	ة	ل	ا	ب	ء	ا	خ	ا
ز	ى	ل	ا	ا	ن	ا	ل	ك	ن	ا	ا
هـ	ا	ب	ر	ة	ر	س	ا	خ	ل	ب	ء
ر	ر	س	ا	خ	ل	ا	ب	ل	ا	ل	ف
ت	و	ل	م	ي	ع	د	ا	ل	ح	ب	ة
ي	ل	ي	د	ج	ي	ر	ط	ع	ا	ل	ب
ن	ا	هـ	و	ا	ن	م	س	ق	ن	ا	ف
ن	ل	ي	ل	ن	ء	ا	خ	ل	ا	ل	ب
ف	و	ب	ا	ع	ي	ب	ر	ل	ا	ي	ف
ع	ن	ة	ط	ف	ء	ا	خ	ل	ا	ل	ب
ا	ن	ظ	ا	ك	ت	ق	ا	ل	ع	ي	ف
ا	ق	ص	د	ي	ع	م	ت	ن	ا	م	ك

كلمة السر مؤلفة من ستة حروف: عاصمة عربية.

(كم أنت خائنة... أقصد خائفة... بل خاسرة في علاقتك معي... لا بل الخاسر... بل الخائف... بل الخائن... أظن أن كلانا خائب... فانقسمنا في الربيع... إلى زهرتين بلا عطر ولا لون ولا هيبة... لم يعد الحب يجدي نفعاً...)

SUDOKU

4				5				7
	7				1		2	
	8			6		4		9
	5		7		3			1
		6			5	9		
1				2			4	
5		7		1			8	
	4		5				7	
6				7				4

تتألف اللعبة من تسعة مربعات كبيرة داخل كل منها تسعة مربعات صغيرة، يجب ملء المربعات الصغيرة بالأرقام على ألا يتكرر الرقم أكثر من مرة في كل مربع كبير وفي كل خط عمودي وأفقي.

الحل السابق:

2	6	1	3	8	9	5	7	4
3	5	8	7	2	4	9	6	1
9	7	4	1	5	6	8	3	2
1	9	2	8	6	7	3	4	5
8	3	5	9	4	1	6	2	7
7	4	6	2	3	5	1	8	9
5	8	3	4	1	2	7	9	6
6	2	7	5	9	8	4	1	3
4	1	9	6	7	3	2	5	8

الطقس

	اليوم	غداً
دمشق	٤°/١١°	٢°/١٣°
حمص	٤°/١١°	٦°/١٤°
حلب	٣°/٩°	٥°/١٠°
اللاذقية	١١°/١٤°	١٠°/١٦°
السويداء	٢°/٨°	٢°/١١°
الحسكة	٠°/١٠°	٣°/١٢°

من هو؟

فنانة سورية، إذا جمعت الأحرف:

٧ + ٦: بحر.
٥ + ١: قاعدة.
٣ + ٤ + ٢: صوّر.

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧

الحل السابق: سعد أردش.